

على حساب شعوب المنطقة ، للحيلولة دون نهوض هذه الشعوب والسير في مسيرة الإنسانية . لقد وضعت الإمبريالية الأمريكية كل منتجات عبقرية الشر سلاحا في أيدي الاحتلال الصهيوني لقمع شعوب المنطقة ولنعها من السيطرة على مصيرها وثرواتها ، فكانت إسرائيل ، بكل هذه المعاني ، هي الوجود الاستعماري الجديد الذي يقوم بخدمة حراسة المصالح الإمبريالية ، وتقوم الإمبريالية بدورها بمكافأته بتقديم مخالبتها له ، وبتغطية احتلاله وتوسعه .

لقد انتظر الشعب الفلسطيني المشرد ، صحوه الضمير العالمي ليعيد إليه حقوقه القومية العادلة ، انتظر في المخيمات وعلى أبواب وكالة الغوث وأمام لجان حقوق الإنسان ، وبكى طويلا أمام الملفات الكبيرة التي تحمل وعودا باسترجاع حقوقه . وكان الوقت يمضي فتزداد الآلة العسكرية الإسرائيلية جبروتا ، ويزداد المسير الفلسطيني يؤسا ، ويتكاثر عدد اللاجئين ، وتفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة الصهيونية التي لا تنتهي .

ليست هنالك قضية أكثر عدالة من عدالة لجوء الفلسطينيين الى سلاح أكثر فعالية من فعالية الشكوى والانتظار السلبي لاسترجاع حقوقهم ووطنهم . هذه هي المعادلة في هذا الزمان : من يملك حقا ولا يملك قوة لحماية الحق يبقى حقه مجانيا وضائعا . ومن يملك قوة دون حق يستلب حقا من الآخرين . ومنذ عشر سنين ، منذ اعلان الثورة الفلسطينية على البؤس الذي لا مثيل له في العالم الثالث ، وعلى الخطيئة الصهيونية انتي لا مثيل لها في العصر ، والفلسطينيون يحمون الطريق الى وطنهم وحقوقهم بالقوة . وصار هذا الفلسطيني المهور الخارج من الخيمة الى خندق العدالة ، هو النموذج العربي الجديد لاعادة ترتيب عناصر المصير العربي وفقا لارادة الشعوب العربية . ومن هنا ، كانت الحالة الفلسطينية العربية الشائنة واحدة من أنبل حالات الدفاع العادل في التاريخ البشري . وان مدى المشاركة الإنسانية في تجذير الوعي العالمي بجوهر القضية الفلسطينية قد تحول الى أحد المقاييس الاخلاقية العامة لاهلية الانتماء الى قيم الانسان . وان هذه المشاركة التي هي ، في الوقت ذاته ، اسهام الضمير في مقاومة الخطيئة ، تعتبر امتحانا شاسيا لمصداقية ما توصل اليه الجهد البشري من اقرار قيم التعامل المتساوي بين الشعوب .

هذه الارض الفلسطينية العريقة التي كانت رحم أنبل الدعوات الى الحرية والعدل والسلام ، تستحق من الإنسانية التي حظيت بعطاياها العظيمة ان تسدد بعضا من أثمان الديون . وان الكفاح المقدس فعلا من أجل ان يكون مصير هذه الارض بعض الامتداد لعطائها التاريخي الكبير هو مهمة إنسانية شاملة ، لننظر الى صلب الصراع . انه ليس صراعا بين حدود حقين كما يزعم بعض مثقفي الغرب الليبراليين ، لان الحق لا يصارع حقا . فاذا كان احد الطرفين حقا فلا بد من أن يكون الطرف الثاني باطلا . وهو ليس صراعا بين أديان وطوائف . انه صراع بين محاولة لاعادة التاريخ الى سن الظلمات والقفز على ألفي سنة من التطور التاريخي من جهة ، وصراع بين امتداد هذا التطور واحترام قوانين التاريخ والانسان . ان الصهيونية التي تمثل الطرف الاول من الصراع تحاول تجريد التكوين الانساني الشامل من مقوماته الفلسطينية ، وتسمى الى طرد الفلسطيني من الإقامة في صلب المنجزات الروحية والانسانية التي أبدعها الانسان عبر التاريخ ، بعدما اقتلعت من الارض وكسرت تجمعها وكيانه .

عم يدافع الصهيوني ؟ عن سيادة التعصب الديني والاستعمار في أبشع صورته . يدافع عن « حقه » في التنفس من رئات شعب آخر . يدافع عن أنانيته الضيقة في ان يكون وحده ، ويشترط حضوره بغياب الآخرين ، ويدافع عن سابقة البناء العدواني على